

المقدمة

الجمهورية اللبنانية هي إحدى الدول العربية الواقعة في الشرق الأوسط ولها تاريخ عريق ووجود يناهض على ٧٠٠٠ سنة وتفاعل عميق مع الحضارات المختلفة طول القرون. ولموقعه الاستراتيجي كانت مطمحاً للاحتلال الأجنبي وساحة دامية للنزاعات والحروب ومنها الغارات التي شنتها الكيان الصهيوني في العقود الأخيرة على أراضيها الطيبة.

ولم يتنازل شعب لبنان المقاوم في تاريخها الطويل لحظة عن الدفاع عن حقوقهم ووطنهم وهويتهم وبذلك أبدعوا ملاحم رائعة لاتزول عن ذاكرة الأجيال أبداً وخاصة ما شاهدها العالم في حرب تموز ٢٠٠٦ م والتي كانت صفحة مشرقة على وجه التاريخ. وفيها لبث جماعة الأبطال داعي المروءة والأريحية والحق وحملوا على عواتقهم لواء الصمود والمقاومة وهامهم حزب الله الذي حقق جنوده البواسل أمنيات شعبه الأحرار في تنظيم سياسي عسكري شيعي متواجد على ساحة لبنان السياسية والعسكرية على مدى أكثر من عشرين سنة. حيث أثبت وجوده أكثر مما كان بعد أن أجبر الجيش الإسرائيلي على الانسحاب من الجنوب اللبناني عام ٢٠٠٠ م واستطاع أن يلحق الهزيمة بالجيش الإسرائيلي عام ٢٠٠٦ م.

واكب الجنود المقاومين في هذه الحركة الجهادية عدد غير قليل من الشعراء الأبطال الذين استمدوا من أشعارهم الحماسية في استنهاض الناس وإثارتهم للدفاع عن العقيدة والحرية لاعبين دورهم المصيري في مجاراة الأحداث وتصويرها تصويراً فنياً بارعاً في نهاية الدقة والحركة. فمن جانب صوروا أحداث هذه الفترة من الدمار والاحتلال والألم والوجع تصويراً صادقاً يعرضون من خلالها المشاهد المؤلمة والمناظر المثيرة للحنن ويعبرون عن المأساة التي يعيشها سكان بلادهم المظلومون. ومن جانب آخر تحمسوا للعقيدة والشعب والوطن وأثاروا إقبال الجماهير إلى مقاومة الاحتلال واستنهاضهم للدفاع عن العقيدة والشرف فجعلوا من أشعارهم عاصفة هوجاء تستأصل الغاصبين أو بركاناً هائجا يطيح بالكيان الصهيوني، كما يقول خليل عجمي من شعراء المقاومة اللبنانية:



تفجر الشعر بركاناً بقافيتي حيث الجنوب بنار الشعر منظوم

(خليل عجمي، ٢٠٠١م: ١٤٠)

وحين ينشد شاعر المقاومة اللبنانية أنشودته الحماسية نشعر وكأنه يحمل البندقية ويطلق الرصاص ويشعل النار ويرمي الحجر وحينما يصور منظر استشهاد أحد المجاهدين كأنه هو يستشهد معه فإذا لا يقل شعره خطورة عن سلاح المقاومين وهذه هي مهمة شاعر المقاومة الذي يرسم طريق الاستقامة للمستقبل ويحيى في قلوب مواطنيه الأبطال الأمل ويفعمها بالرجاء والنور ويجعل من الشهداء عنوان الشموخ والإباء وبهذا يكون الشعر عامل الحياة قبل أن يكون عامل اليأس. فلا يئن ولا يتأوه أو يضجر بل يصرخ ويزمجر ويرعد ويظل مقاوماً مستعصياً بنبرته الثورية التي يدخل الرعب في قلوب المعتدين ويعيد الأمل إلى عيون المضطهدين ويسكن آلامهم ويضمّد جروحهم ويهيئهم لاستقبال شمس الانتصار ومشاهدة ابتسام صبح الظفر.

تحليل الثنائيات في شعر المقاومة اللبنانية

الأدب المقاوم يعمل في اتجاهين:

الأول اتجاه في تصوير أفضح الويلات وأدمى الذكريات من قصف وتدمير وقتل واحتلال لها الأثر الكبير في نفوس المشاهدين، حيث يشعر القارئ وكأنه يعيش الأحداث ويشترك فيها مشاركة فعالة.

والثاني اتجاه في تأصيل القيم الدينية والإنسانية وتعزيد الذات الجمعية الذي يؤهل الأفراد والجماعات لمواجهة الأعداء ويزودهم بمعنويات عالية في لحظات الخطر ويبشر بالصبح وهو في دياجير الظلام وبالربيع وهو في موسم الخريف.

ومن أهم الخصائص لشعر المقاومة الارتكاز على المؤثرات الإيجابية والانتقال من طقس التشاؤم في الأحداث إلى جو التفاؤل بتكوين الثنائيات وتركيبها الأكثر جاذبية وشاعرية التي بها ينتقل القارئ من اليأس إلى الأمل وينتهي القضية بتفاؤل مأمول عند الشاعر بينما هو يعيش في عمق المأساة ويعانى شعبه معاناة لا توصف.

في إلقاء ضوء يسير على هذه المهمة الشعرية والوظيفة الاجتماعية عند شعراء

المقاومة اللبنانية فلا بد لنا من دراسة بعض الثنائيات التي تتجلى في دواوين شعراءنا الكبار فنقتصر منها على ما يلي.

الجرح ← آى البلاغ:

نجد فى جانب من هذه الثنائيات الجرح والليل والدجى والدمع والآه والإذعان والسبى ونزع السلاح والدم والاحتلال وفى جانب آخر وفى مقابل هذه المفاهيم الأساسويه وعناصر التشاؤم نجد عناصر فعالة نابضة بالحياة كآى البلاغ ويزوغ الفجر وابتسام الصبح وإنارة الطريق وتفجر بركان الغضب والملحمة والانتصار وتحرر الأوطان والتسلح بالإيمان والعزة والإباء وبعث الأمل وإطفاء نار العدو.

فالشاعر المقاوم يجعل الجرح الدامى فى شعره آى البلاغ الذى ينشر رائحة الأوراق:

وقفى على نطق الجراح فإنها آى البلاغ تشيح بالأوراق
(حماده، ١٤٢٤م: ٤٠)

ويتولد النصر من مواسم الجرح:

هذى مواسم جرحنا/ قد ازهرت وتلألأت/ والنصر منها يولد

(حسن نصرالله، ٢٠٠٧م: ٦٨)

ويتمثل فى ديوان شعر المقاومة مشعلاً يضىء الطريق للمدلجين:

وبأن جرحك مشعل بكر التوهج والتضنى

(عباس موسى، ٢٠٠٣م: ١٨٥)

والذى كان مشعلاً مضيئاً وقبساً من أنوار الهداية فى طريق المقاومة الإسلامية وأصبح

عنوان الشموخ والإباء.

الليل ← بزوغ فجر النصر والحرية:

إن من الخصائص البارزة لأدب المقاومة أنه أدب التعبير عن الواقع المؤلم والإشارة

إلى مستقبل مأمول فى أسلوب فنى بارع لأداء مهمة الأدب من تصوير واقعى للظروف



الاجتماعية والسياسية المؤلمة التي تكرهها النفس والتشوق إلى ما يرسم معالم طريق المقاومة بنظرة إيجابية حية. فحين يذكر شاعر المقاومة الليل أو الدجى يرنو إلى فجر مؤمل يشق جيب الظلام ويبشر بقدوم صبح الانتصار ويدعو المجاهدين وأبطال المعارك ليقلبوا الليل نهاراً بمثابرتهم ومقاومتهم:

وارفع جبيناً بالعلاء تبارى
شقّ الظلام ومزّق الأسوارا
لغد الشروق لتنتشى إسفاراً
فرؤاك في هذى الربى إرھاصة

(العالمى، ٢٠٠٧م: ٥٥)

ويحلم بالنور وهو يسكن في حنايا ظلمة الليل:

صبراً فإن ليالى النور قادمة
والحق ينقل من سرّ إلى علن

(النابلسى، ٢٠٠١م: ٦٣)

وله رجاء واثق بانتصار النهار على الليل والنور على الظلمة لأن شعبه الباسل وجيله المؤمل هم النور والنهار:

يا أيها الجيل المؤمل
أنتم مصايح الهدى
قدسنا ليست إعاره
أطفأتم للخضم ناره
إن طال ليل أو تمادى
عتمه كنتم نهاره

(النابلسى، ٢٠٠١م: ١٣)

فكما نلاحظ، بينما يعيش الشاعر في رهبة بين الظلام واللانور وحيرة بين الفزع واللاهذوء يريد لشعبه أن يعيش أملاً بين النور واللاظلام والهدوء واللافزع.

الآه والنوح ← بركان هائج يقضى على حياة الظالمين والغاصبين:

... يتبدل الآه في ديوان المقاومة بركاناً هائجاً يحرق أسطورة الظلم وزمرته:

إذ يحرق الآه نيرونا وزمرته
إذن تفجر عبر الآه بركان

(فضل الله، ٢٠٠٤م: ١٩٥)

ولا ينصر النوح الحق، فعلى الشعب أن يترك العويل والنواح لأنه لا يسبب رقة قلوب

الظالمين:

لا ينصر النوح حقاً أنت تنشده ولا يرق لدمع العين ثعبان
(فضل الله، ٢٠٠٤م: ١٩٨)

وتنادى كل طفلة مقهورة بشهقتها الغاصبين وتذرهم بأن الأعداء لا يجدون في الوطن
المحتل مكاناً للراحة:

وبكل شهقة طفلة صوت فصيح لن تستريح بأرضنا لن تستريح
(فضل الله، ٢٠٠٤م: ١٥٣)

وبذلك يكون حثاً على الصبر في سبيل الحرية والعزة أكثر من أن يكون عامل ضعف
واستسلام، يقول محمود درويش:

وقريبا يصبح الدمع سنابل / آه يا أطفال بابل ...
(درويش، ١٩٨٩م: ٣٣٩)

الإذعان والسبي ← الملحمة والإباء:
يدعو شاعر المقاومة وينادى شعبه المضطهد ليبدلوا الإذعان ملحمة والتسليم إباء:

يا أمتى، حوّلِي الإذعان ملحمة ملى الركود ولا تُعطى لأعدانا
(العالمى، ٢٠٠٧م: ٥٤)

والمجاهد البطل رغم تألمه والتوقيف عليه يشعر بأنه شجاع فارس:
زرّد على جسدى ورشاش على رأسى ووجهى للجدار مدار
لكننى أحسستُ رغم تألمى أنى شجاع فارس مغوار
(عجمى خليل، ٢٠٠١م: ١٠)

والمقاومة الإسلامية - التى عبر عنها الشاعر بليلى - سوف تنتصر بالصبر والإيمان:
بكر الحرائر لبلانا وإن سبيت لسوف بالصبر والإيمان تنتصر
(فضل الله، ٢٠٠٤م: ١٩٢)

ولا يهيم المجاهدين أنهم من دون أسلحة، لأنهم مسلحون بالإيمان ولا يخيب من
تسلح بالإيمان:



ماهمنّا أننا من دون أسلحة
فمن تسلّح بالإيمان لم يخبِ
فلا البنادق أقوى من سواعدنا
حتى الصواريخ لاتقضى على الشهب
(عجمى خليل، ٢٠٠١م: ١٠)

الدم ← مهر المواطن وسبب تحرر الأوطان:

الدم الذى يجرى فى معركة القتال وينسكب من عروق المجاهدين الأبطال هو الذى
يحرر الأوطان كما يقول خليل عجمى:

بدم الشهيد تحرّر الأوطان
وبجيشها شرف البلاد يسان
(عجمى خليل، ٢٠٠١م: ٨٢)

ما حرّرت أرضاً على أبناءها
إلاّ دم الأحرار والشهداء
(النايلسى، ٢٠٠١م: ٣٩)

وهو الذى يهدم أسطورة الجيش الإسرائيلى الذى لا يغلب، وهذا ما شاهده العالم فى
العقد الأخير على أيدي أبطال حزب الله بتضحية الشهداء:

بدمائنا وجهادنا قد هُدِّمت
أسطورة الجيش الذى لا يغلبُ
فلتأخذ الأيام درساً والأمم
أنّ الموطن مهرها روح ودم
(حسن نصرالله، ٢٠٠٧م: ٣٣)

وبواسطة هذه الدماء الزكية تفتتح براعم الانتصار وتزهو ناشرة رائحة الإيمان عبر
التاريخ:

سقيتم أرضنا الحررى دماءً
سُيزهر عطرها نصر البقاء
(العاملى، ٢٠٠٧م: ٢٤)

وفى موضع آخر يخاطب شاعر المقاومة حسن بدران، شهيد المقاومة الإسلامية
الذى ضحّى بدمه الغالى فى سبيل حرية القدس ويعتبر دمه القيم من أواصر الحياة:

حسن بدرانُ يا شمس الحياة
فديتَ القدس تعطيها دماءً
شهادتك التحدى للطغاة
وأنتَ دماك أوتار الحياة
(العاملى، ٢٠٠٧م: ٤٠ و ٣٩)

ويضحى شهيد المقاومة دمه سراجاً يضيئ طريق المُدْلِجِين إذا افتقدت الشمس
والبدر:

وهبت دمي للمدْلِجِين مسارجاً إذ اتاه في مسراهما الشمس والبدرُ
(فضل الله، ٢٠٠٤م: ٢٥٤)

وقد يعتبر هذا الدم النازف منبعاً للقوة والصمود والتحدّي، كما تقول زينب شريم
خميس في قصيدة «أطفال الحجارة»:

وأنت سيلاً دم الأحرار منبعه لازلّت ترفلُ بالآمال منطلقاً
(شريم خميس، ٢٠٠٦م: ٥٨)

الاحتلال ← الغضب والإباء:

يبدى الشاعر تعالفاً على وجه الحقيقة بين الاحتلال والغضب أو بينه وبين العزة
والإباء فلذلك لا يستكين شعب لبنان المقاوم لمتحل أو مغتصب:

لبنان شعبك في أرض الجنوب أبى إن يستكين لمحتل إذا غضبا
هى البطولة يا لبنان شيمتنا ونحن نضع منها عزة و إبا
(عجمي خليل، ٢٠٠١م: ٤٩)

وهذا ما نشاهده غير مرة في أوراق شعر المقاومة:

دوّن على صفحة التاريخ يا وطنى آيات عزك واختر للعلى رتبا
(عجمي خليل، ٢٠٠١م: ٥٢)

الموت ← الحياة الخالدة:

ثنائية الموت والحياة الضدية أكثر الثنائيات عرضاً في شعر المقاومة لأنها تحمل
صورتين متعارضتين، تنبثق الأولى من واقع المأساة التي تحيط بالوطن المحتلّ من
القتل والتدمير والثانية من الاحساس الدافئ الذى يبعث فى القارئ الأمل ويتعدى
الأفق المأساوى الواقعى إلى آفاق جديدة بما تحمله من بُشرى ورجاء واثق بالمستقبل
وارتياح بنظرة تفاؤلية بينة، ألا وهى الحياة بكل عناصرها النابضة الوضاء. وهنا يشعر
القارئ بانتقال من حال إلى حال ثانية يتراءى فيها الجمال والأمل والأفراح بين دواليب



الفرع والخوف والاكتئاب، ويسمى شاعر المقاومة الموت في سبيل نيل الحرية مهر الحرية حين يقدم قصيدته «لأرواح شهداء حزب الله» ويؤكد على أن الذي يموت هكذا يعيش خالداً بين شعبه:

بُنِي حِينَ تَحْضُرُ فِي خَاطِرِي

وَرَسَمَكِ فِي لَوْحَةِ الذِّكْرِيَّاتِ

فَأَنْتِ الَّذِي عَاشَ مَا بَيْنَنَا

وَمَا مَاتَ إِذْ مَا طَوَاهِ الْمَمَاتِ

وعشقتك يكبر رغم السنين (حسن نصرالله، ٢٠٠٧م: ٣٠)

كما يشير النابلسي إلى نفس المعنى ويقول:

مَامَاتِ مِنْ لَبْسِ النَّدَاءِ لَوَاجِبِ مَا عَاشَ مِنْ أَمْسَى مَعَ الأَرْشَاءِ

(النابلسي، ٢٠٠١م: ٣٩)

والعاملى حين يقدم قصيدته الرائعة «لحسن بدران»، يؤكد على نفس الأمر:

شَهِيدَ الحَقِّ يَا بَدْرَانَ تَبْقَى فَعَزَمَكَ لَيْسَ يَمْحَى بِالْوَفَاةِ

(العاملى، ٢٠٠٧م: ٤١)

لأن الموت في سبيل الله يفتح آفاقاً جديدة لاتساعها الحياة الفانية كما تقول الشاعرة

زينب شريم خميس بمناسبة استشهاد محمد الدّره:

يَا قِرَّةَ العَيْنِ لَوْ تَدْرِي لَكُمْ فَتَحَتْ مِنْكَ الشَّهَادَةُ مِنْ أَعْدَادِهَا أَفْقًا

(شريم خميس، ٢٠٠٦م: ٦١)

والموت والميلاد في وطني المؤله توأمان

(درويش، ١٩٨٩م: ٢٢٢)

وعلى هذا الأساس وفي نهاية المطاف يصبح الموت في سبيل الله أو الاستشهاد رمز

الظفر والانتصار كما يكتب طفل في رسالته إلى والده الشهيد:

أَبْتَاهُ فَاهُنَا بِالرَّحِيلِ مَظْفَرًا وَانْعَمَ بِذِكْرِ عَاطِرِ مَضْوَعِ

(شريم خميس، ٢٠٠٦م: ٧٥)

١. الشهيد المجاهد الذي استشهد عام ١٩٨٧م.

فلتهنّي أرض العاملة بهؤلاء الأبطال الذين يضحون أنفسهم لتنتصر بلادهم على الأعداء وتظفر بالاستقلال:

فلتهنّسى عاملاً للمجد أغنية هنا الشهادة زرع أنبت الظفرا

(العاملى، ٢٠٠٧م: ١٠)

النتيجة

يكون شعر المقاومة عامل حياة قبل أن يكون عامل يأس وينطق بجلال الحياة قبل أن ينطق بعظمة الموت ويضفى رونقاً خاصاً ومشاركة فعالة فى تهيب الجماهير نحو ميادين القتال ويفتح آفاقاً واسعة من الأمل دون أن ينزل ساعة عن صهوة جواده أو يتنازل لحظة عن السمو إلى مستوى هدفه المثالى فيوجج الشوق إلى مواكبة الكواكب استعداداً لاستقبال شمس الظفر والانتصار معلناً بتباشير الربيع ومرحّباً بقدوم الصباح، بما تحمله من بشرى وأمل فى نظرة تفاؤلية تؤول فيها المأساة إلى البشرى والظلام إلى النور دفعاً لكل أنواع التشاؤم وهذا ما نجده بينا فى دواوين شعر المقاومة ونذكر منه على سبيل المثال:

يا أيها الشعب الذى أضفى على الدنيا فخاره
أحييتم الأمل الذى دفنوه فى قعر المغاره

(النابلسى، ٢٠٠١م: ١١)

وفى موضع آخر يخاطب الشاعر شعبه البطل ويشجعهم للمصود مبشراً بقدوم النور:

صبراً فإن ليالى النور قادمة والحق ينقل من سرّ إلى علن

(النابلسى، ٢٠٠١م: ٦٣)

لأنّ منه يبعث الأمل وفيه يتراءى جمال الانتصار:

تغايرت ضرباتٌ منه صاعقة هى المنون ومنها يبعث الأمل

(فضل الله، ٢٠٠٤م: ٢٥٩)

فرواك فى هذى الرّبى إرهاصة لغد الشروق لتنتشى إسفاراً

(العاملى، أهازيج الدماء، ٢٠٠٧م: ٥٥)



او مادري اهل اليهود بأننا
لنعيد خبيراً بلأسماً لجروحنا
سينطل حزب الله صوتاً صارخاً
لترُفرف الرايات فوق ربوعنا
سنقضُّ مضجعهم لناخذ ثاراً
لنعيد أمجاداً خلت تتواري
يشفى الغليل ويسحق الأشرار
شماً تهتفُ تحتفى الأحرار

(العاملى، ٢٠٠٧م: ٥٨)

وهذه هي مهمة شعر المقاومة اللبنانية التي تركت بصماتها وآثارها الإيجابية على ساحة الأدب اللبناني وعلى شعب لبنان المقاوم ورسمت للمستقبل طريق الخلاص والاستقامة.

المصادر والمراجع

- حسن نصرالله، جواد. ٢٠٠٧م. حروف مقاومة. الطبعة الثانية. بيروت: دار الهادي.
حمادة، إيهاب. ٢٠٠٣م. الرسم على الماء. الطبعة الأولى. بيروت: دار الولاء للطباعة والنشر.
خميس، زينب شريم. ٢٠٠٦م. عشرة الفجر. الطبعة الأولى. بيروت: دار الولاء، للطباعة والنشر.
العاملى، محمد قدسى. ٢٠٠٧م. أهازيح الدماء. بيروت: دار الولاء، للطباعة والنشر.
العاملى، محمد قدسى. ٢٠٠٧م. مشكاة الأنوار. بيروت: دار الولاء، للطباعة والنشر.
عجمى، خليل. ٢٠٠١م. قصائد الانتصار. بيروت: دار المحجة البيضاء.
فضل الله، عبدالمهدى. ٢٠٠٤م. القنديل والغربة. الطبعة الأولى. بيروت: مركز الإمام الخميني الثقافي.
موسى عاطف، عباس. ٢٠٠٣م. صرخة نصر. بيروت: لانا.
النابلسى عفيف. ٢٠٠١م. نحفات عاملية (قصائد للمقاومة والشهادة). بيروت: دار الهادي.



